المحاضرة الخامسة: هجومات 20 أوت 1955 في الشمال القسنطيني

(أسبابها ومجرياتها ونتائجها)

من أبرز أحداث سنة 1955 هجومات 20 أوت بالشمال القسنطيني أي في المنطقة الثانية التي كان رأس قيادتها في هذه الفترة القائد زيغود يوسف الذي كان قد خلف قائدها عند اندلاع الثورة ديدوش مراد الذي استشهد يوم 18 جانفي 1955 على اثر معركة مع العدو في وادي بوكركر بسمندو (سكيكدة).

وحول فكرة انتفاضة 20 أوت فتجمع روايات مسؤولو المنطقة الثانية الذين عاشوا تلك الفترة أن "زيغود يوسف" هو صاحب فكرتها، فعندما اختمرت في ذهنه نقلها إلى مساعديه الأقربين وفي مقدمتهم لخضر بن طوبال، ولقد كان زيغود من قدماء المنظمة الخاصة، والمناضلين البارزين في حركة انتصار الحريات الديمقراطية، لأجل ذلك، وعلى عكس من يزعم بأنه لم يكن يعرف ما يمكن أن تنتهي إليه الانتفاضة من عواقب وخيمة، فإننا نستطيع التأكيد بأنه كان مقدرا لكل الاحتمالات.

فالمشرفون على المنظمة الخاصة كانوا يركزون على نظرية حرب العصابات، وعلى كل المناهج التي من شأنها تعبئة الجماهير وجعلها تتحمل مسؤولياتها كاملة، وفي هذا الإطار كان "زيغود يوسف" يقول دائما: ((إن القمع الأعمى يولد القمع الأعمى، والعنف يدعو إلى العنف)). وعلى هذا الأساس فاذا تمكنت جبهة التحرير الوطني من إقناع السكان العزل بضرورة الانضمام إلى أفراد جيش التحرير الوطني في عملية هجومية ضد الاستعمار وقواته بجميع أنواعها، فإنها ستتسبب في رد فعل عنيف يقطع خط الرجعة على المترددين، ويوقظ الحسن الوطني لدى عامة المواطنين. [1]

أ -أهداف انتفاضة 20 أوت 1955:

ويمكن حصر أهداف انتفاضة العشرين أوت فيما يلي:

1 . مضاعفة عدد مراكز التوتر في أماكن كثيرة من المنطقة الثانية ليرفع الحصار المضروب على منطقة الأوراس التي كانت تعاني من عمليات التمشيط المبكرة آنذاك.

2 . نقل الحرب الساخنة من الجبال والأرياف إلى المدن والقرى، وبذلك يتم ضرب عصفورين بحجر واحد: فمن جهة يخفف الضغط المفروض على الريف من أجل محاولة خنق التنظيم الثوري في مهده، ومن جهة أخرى ليتأكد الاستعمار من أن الثورة في كل مكان، ولكي تتسع الهوة بين السلطات الاستعمارية والجزائريين الذين كانوا ما يزالون مترددين.

---

[1] محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، الطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ج2، ص: 38.

3 . إقناع الرأي العام الفرنسي والرأي العام العالمي بأن الشعب الجزائري قد تبني جبهة التحرير الوطني، وهو مستعد لمجابهة الرشاشات والدبابات حتى بالحجارة والفؤوس والعصى من أجل تحرير البلاد.

4 . تدويل القضية الجزائرية، وذلك بحمل الجمعية العامة للأم المتحدة على تسجيلها في جدول أعمال دورة 1955.

5 . لتكون تلك الأحداث الدامية تعبيرا صادقا عن تضامن الجماهير مع الشعب المغرب الشقيق ممثلا في شخصية محمد الخامس. .[1]

ب - مجريات انتفاضة 20 أوت 1955:

يذكر المؤرخون أن انتفاضة 20 أوت وقعت عند منتصف النهار، ولكن الدافع الحقيقي الذي يقف وراء اختيار زيغود يوسف تلك الساعة من النهار كما يبدو أنها هي وقت آذان صلاة الظهر، وأراد أن تمتزج الدعوة إلى الصلاة بدعوة الجهاد، وهو الذي حدث في أغلبية القرى والمدن.

كما هناك أسباب أخرى من جملتها، مثلا كون منتصف النهار هو موعد وجبة الغذاء عند الأوروبيين المدنيين، لأن العسكريين يتغدون قبل ذلك بساعة كاملة أو بنصف ساعة، ثم أن الوقت صيف، وبعد الظهر تشتد الحرارة، ومعظم أفراد الجيش الفرنسي غير معتادين على ذلك

مهما يكن؛ فإن الهجوم قد بدأ في الوقت المضبوط ولكن ليس في كل الجهات المحددة بل يمكن الجزم أن الجهة التي كان يشرف عليها الشهيد زيغود يوسف مباشرة هي التي نفذت الخطة بكل دقة، لذا وقع كل الثقل تقريبا على الشريط الممتد من سكيكدة القل وقسنطينة شاملا على الخصوص مدينة سكيكدة وضواحيها مدينة رمضان حاليا، مدينة الحروش مدينة مزاج الدشيش، مدينة سيدي مزغيش، مدينة زيغود حاليا، مدينة وادي زناتي، ثم مدن القل والميلية وقسنطينة والخروب. فشن جيش التحرير الوطني بمساعدة السكان في الشمال القسنطيني هجوما على 36 مركزا استيطانيا.[2]

وردت تفاصيل هجومات 20 أوت 1955 في التقارير الامنية للشرطة الفرنسية، ومنها الذي يحمل رقم 2976، بعث به المحافظ المسؤول عن فرقة الاستعلامات العامة لمدينة سكيكدة يوم 20 اوت 1955 إلى المحافظ الرئيسي مسؤول مقاطعة الاستعلامات العامة لقسنطينة، يشرح فيه مجريات الهجوم الذي عرفته المدينة، يبدأ بتناول المكالمة الهاتفية التي تمت على الساعة 23:00 ليلا يوم 19 أوت 1955 والتي طلب فيها ابلاغ مركز عزابة للاستعلامات العامة بالمستجدات وحثهم بعدم مغادرة المقر بدون طلب الاذن.

---

[1] محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، **مرجع سابق**، ص ص: 39- 40.

[2] محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص: 41.

في صبيحة يوم السبت بلغنا بان هناك مجموعة من المتمردين تطوق المحجرة الرومانية فاتجه احد افراد من الشرطة يدعى "بارغ" على حوالي الساعة 10:00 صباحا الى معاينة المكان فوقع في اشتباك مع المتمردين تم على اثره القاء القبض على احدهم المدعو العيفة "عمار بن محمد" بعد اصابته، ثم اخذه نحو محافظة الشرطة وبعد استنطاقه، تمكنت الشرطة من معرفة عدد المتمردين الذين كانوا يحاصرون المحجرة الرومانية حيث تجاوز عددهم 200 فردا وتوجهت قوات الامن مرة ثانية مدعمة بفرقة من الشرطة وفرقة الاستعلامات العامة نحو مكان الاشتباك، حيث تمكنت هذه الاخيرة بعد اشتباك ثاني مع المهاجمين من الاستيلاء على شاحنتين للنقل كان بها عدد يقارب 200عنصرا من المهاجمين، وبداخلها وجد بها برميلين مملؤتين بالبنزين سعتهما 200 لتر ومجموعة من الزجاجات بها فتيل معبأة بالبنزين (قارورات المولوتوف)، وكانت حصيلة العملية قتل أحد السائقين والقاء القبض على الثاني وحجز الشاحنتين بمحتوياتهما.

وفي حدود منتصف النهار اطلقت صفارة الانذار، وعندها هاجم خمسة عناصر من المهاجمين فرقة الشرطة للاستعلامات العامة واطلقوا زخة رصاص من بندقية رشاشة اصابت السيد "سانتوس جوزي" الذي اسقطته ارضا، الا انه رغم جراحه البليغة تمكن من الولوج الى المقر واحتمى بداخل المكاتب، ليحول بعدها الى المستشفى، وبعدها تصدت عناصر الشرطة للمهاجمين الذين غادروا المكان وفي اعقاب ذلك تمت ملاحقتهم من قوات الشرطة واوقف اثنان منهم من طرف المفتش "تيتي" وفر الباقون، ولم يتم العثور على اسلحة نارية بحوزتهم ما عدا فأس على بعد خمسين متر من موقع الهجوم فقط.[1]

في تقريرها المؤرخ في 20 سبتمبر 1955، أي بعد شهر من الأحداث، وهو التقرير الذي حمل عنوان : ((المواطنة الجزائرية في مرحلة التمرد)) أعطى الشرطة الفرنسية تفاصيل عن الانتفاضة جاء فيه ما يلي: ((-اعطيت الاوامر لسكان القرى ونذكرها على سبيل الذكر لا للحصر ، منها: مجاز عمار، وادي الزناتي، طاية وغيرها.. تامرهم بأغلاق الابواب على الكلاب خاصة حتى لا تثير انتباه القوات الفرنسي القريبة من اماكن عبور المهاجمين بنباحها وبذلك تفسد الخطة السرية للانتفاضة. مع المطالبة بإبقاء حيوانات النقل مثل البغال والحمير في الخارج حتى يتم استخدامها للضرورة عند الحاجة للنقل عليها، ثم تركها تعود الى اصحابها بعد ذلك.

- في الحروش مثلا: كان عدد كبير من السكان على علم بالهجوم المقرر تنفيذه يوم 20 أوت 1955، والدليل على ذلك نجد أن كل التجار قاموا بغلق ابواب محلاتهم على الساعة 10:00 صباحا، وما ان وصلت إلى الساعة 11:00 من نفس النهار حتى اصبحت الشوارع فارغة من حركة المارة المسلمين.

---

[1] ***FR CAOM 93/4195****. (Compte rendu du commissaire chef de la brigade des renseignements généraux de Philippeville à monsieur le commissaire principal chef de district des R. G .de : Constantine ; l'enquête sur les évènements terroristes qui se sont déroules à Philippeville le 20/08/1955).*

- لم يقم القياد والوقافون والشنابط وحراس الغابات، بعملية التبليغ نظرا للضريبة القاسية التي دفعوها في الفترة التي سبقت الهجوم من جراء القتل والتهديد المستمر الذين تعرضوا له، ماعدا القائد بني زيد الذي بادر بتبليغ المسؤول المدني للإدارة، وكذا شانبيط نفس الدوار على الساعة الثامنة صباح يوم 20اوت 1955، مصرحا لهم بانه قد تقرر بان يكون هناك تمرد وعصيان من السكان في نفس ذلك اليوم وتكون انطلاقته على الساعة 11:45.

كانت مجريات الهجوم حسب ما اورده التقرير الفرنسي المؤرخ في 20 سبتمبر 1955 الذي جاء فيه ما يلي:

1 - لقد اوقع الهجوم في وحداتنا الرابضة بالمنطقة اضطرابا ومفاجأة، نظرا لعدم استعدادنا لمثل ذلك الزحف الكبير من المهاجمين، وحتى قواتنا لم تكن مستعدة وليس لها القدرة الكافية للتصدي.

2 - وقع الهجوم على أكثر من 30 موقعا في اوقات متوالية في المنطقة الوسطى من الشمال القسنطيني، دون الاغفال عن العمليات المعتادة في مجموع الولاية.

3 - ان موجة الهجوم في مجموعها العام كانت تأخذ طابع حرب العصابات، تستخدم اسلوب المباغتة، والدقة والحركة المستمرة، جندت للعملية أكثر من 6000 مهاجم يتميزون بتكوين غير منسجم ولكنه مكثف، اعطى للعملية قوة المبادرة، فاجأت الجميع.

4 - وزعت المجموعات المهاجمة على النحو التالي: 600 مهاجم في مدينة سكيكدة، 500 في منجم العالية، 1000 في سان شارل (رمضان جمال)، 250 في الحروش، 100 كاندي السمندو، 400 وادي الزناتي، 200 عين رقادة، 200 الخروب، 600 عين عبيد ،300 بالقل 250 بقالمة، ....الخ.[1]

أما الاسلحة التي كانت بحوزة المجاهدين فكانوا يظهرون في زيهم العسكري، وفي اغلبيتهم يحملون اسلحة حربية، بعض الرشاشات، وبنادق حربية، ومسدسات، قنابل ومتفجرات، أما الافراد الاخرين فيحملون انواع مختلفة من القنابل التقليدية الصنع والمحلية، وكذلك الزجاجات المملوءة بالبنزين وبها فتيل، والبعض الاخر منهم يحملون بنادق الصيد، ومادرن وفؤوس وسيوف وخناجر وعصي وغيرها من الادوات المتاحة والمساعدة على الضرب والتكسير ...اجتمعوا في اماكن محددة ثم زحفوا على المواقع التي طلب منهم الهجوم عليها.

ففي قالمة مثلا؛ اجتمع المهاجمون بمحاذاة الناحية الشمالية لغابة ما، وعلى الساعة 11:00 صباحا بدأ تسلل مجموعات تتشكل كل مجموعة من 20 فرد محاطين بمجاهدين مسلحين بأسلحة حربية للدعم والمساندة والتغطية، وصلت هذه المجموعات الى مقبرة سيدي الحاج لمبارك في حدود الساعة 15:00 بعد منتصف النهار من نفس اليوم، ثم تجمعت ومكثت بالمكان لغاية الساعة 17:00 مساء، تنظر الاوامر للهجوم.

---

[1] ***FR CAOM 93/4195***. *(Le Nationalisme Algérien dans sa phase Insurrectionnelle , Les événements du 20Aout 1955 dans Constantinois, 20 Septembre 1955 , de la page 29 à la page 36).*

وفي القل بلغ عدد الافراد 300 مهاجم بدأوا السير نحو الهدف المحدد لهم على الساعة 02 و30 صباحا ليوم السبت 20 اوت 1955، توجهوا الى عين الحلوف وعلى مسافة 02 كلم و300 متر من الهدف، والتي كانت قاعدة للهجوم، ليكلف بعد ذلك مجموعة من الشباب تسللوا بداخل المدينة، والتقوا بمجموعة من المناضلين الذين وفروا الخبز والغذاء جموع الافراد المهاجمين. وقام بعدها قائد المجموعة بتقسيمهم الى أربع مجموعات ثم صاح فيهم قائلا: ((جاء اليوم الذي نطرد فيه الفرنسيين من بلادنا، لا تتركوا امامكم اي شيئا يتحرك، تكاتفوا وسيروا متقاربين ومتآزرين)). والجدير بالملاحظة انه كلما سمحت الظروف الطبيعية للمهاجمين، فانهم يتمركزون بالقرب من الهدف المراد مهاجمته مدة من الوقت يسترجعون فيها انفاسهم، قبل بدء الهجوم عليه.

من هذا المنطلق؛ نجد مدينة الحروش بدورها عرفت نفس الخطة، حيث تمركز المهاجمون بالقرب من المقبرة الفرنسية، التي وصلت اليه المجموعة على الساعة 09:00 صباحا من نفس يوم الهجوم، فقام احد افراد القيادة بامتطائه دراجة هوائية دخل بها قلب المدينة يستطلع الوضع ويتصل بالأفراد الذين تسللوا بداخلها دون ان يلفت اليه انتباه عناصر الامن الفرنسي وذلك طبعا بتواطئ سكان المدينة من المسلمين المساندين له .وبدأ التوغل للمدينة بطرق شتى منها من دخلها على ظهر الحافلة واخرون في الشاحنات والبعض الاخر على الاقدام ... وكانوا يتلاقون في اماكن محددة، ويشكلون مجموعات قد تصل إلى 50 فردا ، وكان الجميع ينشطون في الناحية الجنوبية للمدينة.

كانت انطلاقة الهجوم تختلف من مركز لأخر الا انها اجتمعت كلها في نفس التوقيت منتصف نهار 20 اوت 1955. لقد كانت اشارة الاعلان عن الهجوم تتمثل في رفع العلم الذي كان يتشكل من الابيض والاخضر وهلال ونجمة حمراء الذي يتبع بثلاثة طلقات نارية معلنة الهجوم، تكون متبوعة بصفارة الانذار. أما في قسنطينة والقل وسيدي مزغيش كانت اشارة الانطلاقة تتزامن مع صوت المؤذن لصلاة الظهر وهي في حد ذاتها رمزية للجهاد المقدس: الله أكبر.. الله أكبر. ورغم قلة السلاح ونقص الذخيرة والمؤونة الا اننا لاحظنا المهاجمين لا يترددون، بل كانوا قادمين على الموت تحت زغاريد النساء المشجعات لهم.[1]

ج - نتائج الانتفاضة:

لقد كانت عمليات القمع وحشية، استهدفت كل المواطنين بدون تمييز وأن كان الاختبار يذهب، غالبا إلى الرجال والشباب، واختلفت الجهات في تقرير عدد القتلى، فالمصادر الفرنسية تحدثت عن حوالي ألف وخمسمائة شخص من بينهم حوالي مائة وعشرين أوروبيا.[2]

---

[1] ***FR CAOM 93/4195****. (Le Nationalisme Algérien dans sa phase Insurrectionnelle , Les événements du 20Aout 1955 dans Constantinois, 20 Septembre 1955 , de la page 29 à la page 36).*

[2] محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 145.

من هذه الأرقام التي جاءت في وثائق السلطات الأمنية الاستعمارية الفرنسية جدول عن الخسائر والعتاد قدمته الفرقة العسكرية لقسنطينة أذنا منه خسائر في الأشخاص فجاءت الأرقام كما يلي: [1]

طبيعة الموضوع	إحصاء خاص يوم 1955/9/20	إحصاء خاص يوم 1955/9/21	إحصاء خاص بشهر أوت 1955	إحصاء خاص بسبتمبر 1955
خسائر المسلمين	خسائر المسلمين	خسائر المسلمين	خسائر المسلمين	خسائر المسلمين
قتلى	1000قتيل	57 قتيل	1237 قتيل	327 قتيل
مجروحين	67 جريح	14 جريح	106 جريح	68 جريح
مسجونين	805 مسجون	87 مسجون	993 مسجون	23 مسجون
مشبوهين	/	20 مشبوه	2418 مشبوه	1723 مشبوه
منضمين	/	/	04 منضمين	03 منضمين
مشاركين	/	/	78مشاركين	01 منضمين

خسائر أعوان الإدارة الاستعمارية

طبيعة الموضوع	إحصاء خاص يوم 1955/9/20	إحصاء خاص يوم 1955/9/21	إحصاء خاص بشهر أوت 1955	إحصاء خاص بشهر سبتمبر 1955
قتلى	25 قتيل	01 قتيل	06 قتيل	42 قتيل
قتلوا في المعارك	103 قتيل	07 قتلى	204 قتيل	112 قتيل
مفقودين	/	/	01 مفقود	02 مفقود
الفارين	/	/	04 فارين	10 فارين
قتلى مدنيين فرنسيين	66 قتلوا	03 قتلوا	71 قتلوا	10 قتلوا
قتلى مدنيين مسلمين	11 قتلوا	04 قتلوا	134 قتلوا	80 قتلوا
جرحى مدنيين فرنسيين	49 جريح	02 جرحى	54 جرحى	09 جرحى
جرحى مدنيين مسلمين	19 جرحى	24 جرحى	42 جرحى	14 جرحى
مختطفين مدنيين فرنسيين	/	/	05 مختطف	01 مختطف
مختطفين مدنيين مسلمين	/	/	24 مختطف	50 مختطف

من جانبها؛ جبهة التحرير الوطني نشرت يومها أسماء وعناوين اثنى عشر ألف قتيل وقتيلة، والأكيد أنهم يكونوا أكثر بكثير، حسب شهادة الجنود الفرنسيون الذي يتحدث عن مدينة سكيكدة الذي يقول: ((إننا شرعنا نطلق الرصاص على الجميع بدون تفريق ...وكان قادتنا يحددون الأوامر باستهداف كل العرب الذين نلقاهم ... وظللنا مدة ساعتين لا نسمع غير صوت الأسلحة الأوتوماتكية

[1] ***FR CAOM 93/4195****. (Le Nationalisme Algérien dans sa phase Insurrectionnelle , Les événements du 20Aout 1955 dans Constantinois, 20 Septembre 1955 , de la page 29 à la page . p; 37).*

نقذف النار على الجمهور... بعد ذلك جاءت أوامر جديدة تقضي بجميع الأسرى، وفي الغد، على السادسة صباحا سطرت المدافع الرشاشة أمامهم ثم أطلق الرصاص وبعد عشر دقائق انتهى كل شيء، وكانت أعدادهم هائلة إلى درجة أن دفنهم استوجب استعمال الجرافة)).[1]

بخصوص خسائر الاقتصادية؛ فإن التقارير الامنية الفرنسية حول الآثار الناتجة عن الهجومات التي وقعت في الشمال القسنطيني احدثت زلزالا لا يمكن حصر اثاره على مدار الايام كونه ضرب الانتاج الاقتصادي في كل صيغه، الزراعي والصناعي والخدماتي الذي يشمل النقل والتجارة وبلغ الضرر الى غاية اصحاب المهن الحرة مثل الاطباء والبياطرة وغيرهم ، لقد يؤدي عدم الاستقرار الامني الى شلل تام لكل النشاطات الاقتصادية ، علما بان منطقة الشمال القسنطيني يكثر بها السكان وتنتشر فيها الزراعة وتربية الحيوانات وتعدد فيها المؤسسات بمختلف اشكالها سواء منها التابعة للقطاع العام او القطاع الخاص وتكثر فيها الشركات التي بلغ عددها 800 مؤسسة تضاف عدد 15000 مسافر الذي فقدته شركات النقل وفقدت ايضا نقل 4000 طن من البضائع والسلع التي كانت تقوم بنقلها يوميا جاء نقص الامن وتعرضها للهجومات المباغتة من طرف المتمردين ، ومن اكبر المتضررين ايضا شركة الكهرباء وكذا مؤسسة البريد والاتصال لان خطوطها تتعرض للانقطاعات المستمرة ، وتقابلها صعوبة تصليح الاعطاب كون عمالها يتعرضون الى خطر دائم عند كل عملية اصلاح ، تضاف لها نقص اليد العاملة التي هاجرت حقول الزراعة لانعدام الامن.[2]

بالنسبة للثورة؛ فإنه مهما كان عدد الضحايا، فإنه يبقى قليلا إذا ما قارناه بالنتيجة الإيجابية كون أهدافها قد تحققت، فيقظة الحس الوطني لدى منتخبي الدرجة الثانية من الجزائريين الذين سيصدرون لائحتهم المشهورة (مذكرة الواحد والستين) بعد حوالي شهر من قوع الانتفاضة الذين استقالوا تأثرا وخوفا، كما أن المجلس الوطني الفرنسي قد خصص، نتيجة لذلك ثلاثة أيام في منتصف شهر أكتوبر للتداول حول القضية الجزائرية، أما الجمعية العامة للأمم المتحدة فإنها بفضل موقف بلدان العالم الثالث، قد سجلت المسألة الجزائرية، في جدول أعمال دورة سنة 1955، وكان ذلك بأغلبية صوت واحد، وأكتفى لدى الأمم المتحدة بالانسحاب بينما في الجزائر صرح الوالي العام "جاك سوستيل" قائلا: أن ما وقع في نيويورك أثمن من قافلة أسلحة توجه إلى جبهة التحرير الوطني. كما قال بعد الأحداث بأسابيع: ((هناك تاريخان يفرضان نفسيهما على الذهن وهما : فاتح نوفمبر و20 أوت وهذا الأخير أكثر لأن سلسلة الحوادث بعده قد تكاثرت)).[3]

---

[1] محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص: 42.

[2] ***FR CAOM 93/4195****. (Le Nationalisme Algérien dans sa phase Insurrectionnelle , Les événements du 20Aout 1955 dans Constantinois, 20 Septembre 1955, p; 38).*

[3] محمد العربي الزبيري، **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص ص: 40 – 41.